العرب
الثلاثاء 2019/10/15
السنة 42 العدد 11498

هل المبدعون حقا مرضى نفسيون

البوهيمية والقلق الدائم سمتان يمكن أن نجدهما في كل مبدع

الإبداع والجنون على علاقة غير اعتيادية (لوحة للفنانة سارة شمة)

لطالما عانى المبدعون في مختلف المجالات من اتهامهم بالجنون، تهمة تبدو جاهزة من المجتمع لمن يختلف مع أعرافه وعاداته وتقاليده ومعارفه، وذهب ضحيتها الكثير من المبدعين الذين وقع الاعتداء عليهم بهذه الحجة. لكن من ناحية أخرى فإن فعل الإبداع لا يخلو من مشاكل نفسية، وليدة العزلة والقلق وغيرهما، حتى أن الاضطراب النفسي بات لصيقا بالإبداع، فهل المبدعون حقا مرضى نفسيون؟

حازم خالد

القاهرة - في إحصاء صدر مؤخرا عن جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأميركية هناك 37 بالمئة من المبدعين في مختلف المجالات يعانون من الاضطرابات المزاجية، و60 بالمئة من المبدعين لا يدركون أنهم يعانون من الاكتئاب، وكلما زادت نسبة الإبداع وزادت نسبة التعبير عنه أفرزتا معهما مرضا نفسيا.

يؤكد الدكتور أمين شاهين، أستاذ الطب النفسي، وجود علاقة بين الإبداع وبعض الأمراض النفسية مثل الاكتئاب والرغبة في العزلة والانطواء، حيث يقول "الإبداع هو نوع من الخلق وموهبة وطاقة تكون لمجموعة من البشر دون غيرهم، لهم صفات مختلطة جعلتهم يوجهون عقولهم إلى الوجود فيبدع كل منهم في تخصصه".

قلق غير عادي

الإبداع، في رأي شاهين، عملية إحساس بالمشكلات والبحث عن حلول غير تقليدية لها، حيث يتمتع هؤلاء المبدعون بقدرة هائلة على الابتكار لامتلاكهم ملاحظة قوية يكتشفون ويبدعون من خلالها وتساعدهم على متابعة توجيه نشاط ما للوصول إلى معلومة أو فكرة جديدة تتعلق بما يبدعونه. علاوة على ذلك المبدع إنسان خيالي، يترك لخياله العنان في عالم يسبح فيه. وما يؤكد ذلك أن الكثير من الاكتشافات العلمية كانت بدايتها مجرد خيال غير واقعي، والخيال العلمي والأدبي هو أساس الإبداع الفني. فالفنان يرسم صورة من الخيال باعتبارها خطة مستقبلية لما يقوم به من عمل فني قبل حدوثه والقيام بتنفيذه.

وترى الدكتورة جيهان النحاس، أستاذة الطب النفسي، أن الإبداع يختلف عن الذكاء، فالشخص عالي الذكاء قد يكون عالي الإبداع، ولكن لا يعد هذا شرطاً للمبدع أن يتمتع بالذكاء لأن المبدع لا بد أن يكون دؤوباً مثابراً يتميز بالسيطرة والاعتماد على النفس ولديه تفكير متعب لا يميل إلى التقليد إلا أنه يخرج لغير المألوف منذ طفولته الأولى، رافضاً، عاشقا للمغامرة، وليس بالضرورة أن يكون متفوقاً دراسياً.

وعن علاقة المبدع بالمرض النفسي الذي يصاب به ترى أن المبدع يميل إلى الانطواء وهو غير متوازن عاطفياً لأنه يجمع بين ما يسمى بلوثة المرح ونوبات الاكتئاب، والمبدع مريض بمرض الكمال فهو يود أن ينجز عمله على أكمل وجه وعلى مستوى دقيق لذا دائما يهتم بالجزئيات الصغيرة والتفاصيل الكاملة حتى يخرج بعمل جديد للجمهور، إلى جانب ذلك فهو يعاني من البوهيمية والقلق الدائم ولكن يختلف عن قلق الإنسان العادي.

الإبداع والاختلاف

من وجهة نظر الدكتورة نيفين صبري، أخصائية نفسية، يصاحب عملية الإبداع والابتكار نوع من المعاناة نتيجة القلق وطول الوقت حتى يتم التوصل إلى النتائج النهائية ويخرج العمل الذي يبتكره المبدع إلى النور سواء كان عملا فنيا أو أدبيا، ولن يتوصل إلى هذا الابتكار إلا إذا كان هذا المبدع يتمتع بالثقة في النفس في مواجهة من يتهمونه بالجنون، اعتقاداً أنه يأتي بشيء غير مألوف، وما يدل على ذلك أن المبدع قديماً كانوا يتهمونه بالسحر مما كان يعرضه للحرق عقاباً على إبداعه ومخالفته للتقاليد والقوانين المتعارف عليها، من هنا نجد المبدع في أغلب الأحيان تكون لديه طاقة عدوانية شديدة نتيجة توجيه اللوم المستمر إليه، وهذه الطاقة التي تحفزه على مواجهة أعدائه من هذا المنطلق تتولد لديه القدرة على الإخلاص فيما يبتكره.

إذن كيف نكتشف المبدع منذ طفولته؟ ترى زينب بشري، أخصائية الطب النفسي، أنه إذا وجد طفل أو مراهق في أسرة يسبب لها تعبا ومشاكل فهو مبدع في الكبر، إذا تم اكتشافه منذ صغره وتوجيهه، لا يتحمل القيود واللوائح ويختلف عن أقرانه في طاعة الأوامر المدرسية، فهو طفل غامض لا يهتم بالتفوق الدراسي، غير تقليدي وغير منطوي السلوك من وجهة نظر مدرسية، لديه تطلعات مختلفة عن زملائه. وفي مرحلة المراهقة نجده لا يشعر بالتوافق بينه وبين من حوله، والمراهقون المبدعون بوجه عام لا يحققون آمال الأهل في النجاح والتفوق الذي يمثل النجاح بالنسبة إليهم مقياس الذكاء.

وتستدرك صبري "لكن ليست هناك علاقة بين الذكاء الدراسي والذكاء العام وبالتالي تنحصر هذه العلاقة بين الذكاء والإبداع، فنجد المراهق المبدع لديه حب دائم للمغامرة ولو على حساب حياته فهو يريد أن يكتشف ويدرك ما هو جديد ومثير".

> المبدع يميل إلى الانطواء وهو غير متوازن عاطفيا لأنه يجمع بين ما يسمى بلوثة المرح ونوبات الاكتئاب

وتضيف "من هنا لا بد من إعطاء الفرصة لهؤلاء المراهقين منذ طفولتهم من خلال عدم الحجر على أفكارهم واختياراتهم سواء بخصوص ملابسهم أو بشأن نوع الأكل الذي يفضلونه، ولا نعاقبهم في حالة الأخطاء التي يرتكبونها خاصة إذا اعترفوا بالخطأ، لأن المطلوب أن يدركوا الخطأ ويتعلموا منه وأن نتركهم يمارسون الهواية التي يريدونها حتى لو كانت بعيدة عن رغبة الكبار وغير تقليدية".

اختفاء المجلات الثقافية خسارة فادحة للإنسانية

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

أعترف أني أدين بالكثير للمجلات الأدبية منذ بداية مسيرتي وحتى هذه الساعة.

والبداية كانت مع مجلة "الفكر" التونسية التي كان يديرها الراحل محمد مزالي والأديب البشير بن سلامة.

وقتها كنت في الخامسة عشرة من عمري. وكنت أدرس في حفوز بالوسط التونسي. وفي نهاية كل شهر كنت وصديق لي مغرم بالشعر نطلب من أستاذنا في اللغة العربية أن يقتنيها لنا من القيروان حيث يقيم. وكم كنّا نسعد ونفرح حين يأتي لنا بها لنقرأ فيها قصائد جعفر ماجد، وقصص البشير خريف البديعة، وبحوثا في الفكر والتاريخ، ودراسات نقدية تطلعنا على كل جديد في عالم الأدب في تونس الستينات.

وقد ازدادت سعادتنا بالمجلة لما فتحت صفحاتها للأدباء الشبان، خصوصا لمن كانوا ينتمون لتيار "في غير العمودي والحر" لنقرأ قصائد للطاهر الهمامي والحبيب الزناد، وقصصا تجريدية غامضة إذ أن موجة الرواية الجديدة في فرنسا كانت قد بدأت تؤثر في جلّ من كانوا ينتمون إلى حركة "الطليعة" التونسية، خصوصا عزالدين المدني وسمير العيادي ومحمود التونسي.

ولما انتقلت إلى تونس العاصمة، اكتشفت مجلات أخرى، فلم أعد أقبل بنفس الشغف على قراءة مجلة "الفكر". وكانت مجلة "الآداب الأجنبية" السورية من بين المجلات التي كنت أحرص على اقتنائها. بفضلها اكتشفت أدباء وشعراء من جميع أنحاء العالم. وبفضلها أيضا قرأت للمرة الأولى ترجمة لرائعة تي.آس.إليوت "الأرض الخراب". كما قرأت قصصا لأدباء من الولايات المتحدة الأميركية ومن بريطانيا ومن أيرلندا.

ومن خلال مجلة "الآداب" التي كان يشرف عليها الراحل سهيل إدريس، كنت أتابع الموجات الجديدة في مجال القصة والشعر والنقد وغير ذلك. وأذكر أن "الآداب" خصصت عددا ممتازا من أعدادها الشهرية للقصة في مختلف البلدان العربية لأكتشف قصاصين ممتازين من المغرب ومن مصر ومن العراق ومن لبنان ومن سوريا.

وعندما دخلت السجن في ربيع عام 1974 لأمكث فيه أربعة أشهر، طلبت من أخي أن يأتيني بعدد "الآداب" المذكور لكي أعيد قراءة العديد من القصص أكثر من مرة، خصوصا قصة "ليلى والذئب" لغادة السمان.

ولم تكن "مجلة المجلة" التي كان يديرها الكاتب المصري البارز يحيى حقي تقل أهميّة بالنسبة إلي عن مجلة "الآداب". فقد سمحت لي هي أيضا باكتشاف أدباء من جميع أنحاء العالم العربي. وكان صديقي خالد النجار الذي سافر إلى المشرق العربي وهو دون العشرين، يمدني بمجلة "شعر" التي فتحت لي نوافذ عريضة على آداب العالم شعرا ونثرا. ومازلت أحتفظ إلى حد اليوم بأعداد كثيرة من مجلة "الأقلام" العراقية. وبين وقت وآخر أعود إليها مدفوعا بالحنين إلى "الزمن الجميل".

وفي الثمانينات من القرن الماضي، كنت أواظب على متابعة مجلة "مواقف" التي كان يديرها أدونيس، ومجلة "الكرمل" التي كان يديرها الشاعر الراحل محمود درويش. وفي غربتي في ألمانيا، كانت المجلتان المذكورتان تتيحان لي متابعة الجديد في الثقافة العربية مشرقا ومغربا.

وأما المجلة الأخرى التي رافقتني في غربتي فقد كانت مجلة "الناقد" التي كانت تصدر في لندن. بفضلها اكتشفت مفكرين وشعراء ونقادا لم أكن قد سمعت بهم من قبل. وكان المفكر الليبي الراحل الصادق النيهوم من بين هؤلاء. وما أظن أن هناك واحدا آخر تمكن من منافسته سواء في زمنه أو بعده في كتابة مقالات مكثفة وعميقة عن الفكر الأصولي الذي كان آنذاك قد بدأ في الانتشار في العالم العربي-الإسلامي انتشار النار في الهشيم.

> اختفاء المجلات الثقافية خسارة كبيرة للإنسانية برمتها، حيث لم يعد للمجلات الرصينة والرفيعة مكان في عالم اليوم

وكانت "المجلة الأدبية" الفرنسية التي تصدر كل شهر، تتيح لي هي أيضا التعرف لا على الأدب الفرنسي فقط، بل على جميع آداب العلم. ومن أهم مميزاتها أنها كانت تخصص في كل عدد من أعدادها ملفا خاصا لكاتب أو لشاعر أو لفيلسوف أو لعالم اجتماع لا من فرنسا فقط، بل من جميع أنحاء العالم. ولا تزال هذه المجلة تصدر إلى حد هذه الساعة إلاّ أنني لم أعد أقبل على اقتنائها مثلما كان الحال في السابق لأن الملفات التي تقدمها باتت مبتورة ومختصرة وسطحية في غالب الأحيان.

وأما المجلة التي أوجعني اختفاؤها حقا فهي "الآداب العالمية" التي ظهرت في الثمانينات من القرن الماضي. فقد كانت هذه المجلة تنشر في كل عدد من أعدادها نصوصا شعرية وقصصية ونقدية وفلسفية لكبار المبدعين في العالم، خصوصا أولئك الذين كانت تطاردهم الأنظمة وأجهزة الرقابة في بلدانهم.

الآن اختفت جل المجلات التي رافقتني في "الزمن الجميل". ولا زلت أحتفظ بالكثير من أعدادها، وإليها أعود دائما كمن يعود إلى المنبع الأول للمعرفة. وفي كل عودة إليها أشعر أن اختفاءها خسارة كبيرة للإنسانية برمتها. وأظن أن المجلات الرصينة والرفيعة لم يعد لها مكان في عالم اليوم. لذلك هي تختفي الواحدة بعد الأخرى تاركة فراغا ما أظن أن المجلات الجديدة قادرة على ملئه.

نهاية وجه ثقافي هام (لوحة للفنان ضياء العزاوي)

جائزة الشيخ زايد للكتاب في فرانكفورت

فرانكفورت (ألمانيا) – تنظم جائزة الشيخ زايد للكتاب سلسلة من الفعاليات في إطار مشاركتها في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي يقام خلال الفترة من 16 وإلى غاية 20 أكتوبر الجاري، وذلك تحقيقا لأهدافها التي تصب في إبراز الثقافة العربية فكرا وإبداعا، إلى جانب دعم مساعي الجائزة الرامية إلى تعريف العالم بمدى الحرص والاهتمام الذي توليه دولة الإمارات لدور الكتاب بوصفه أداة لنشر العلم والمعرفةَ، والتواصل الإنساني بين الثقافات.

وحسب بيان صحافي للجائزة، تتضمن الفعاليات عددا من الندوات الحوارية وحفلات إطلاق ترجمات الكتب الفائزة بالجائزة لأول مرة، بحضور مؤلفين وأصحاب دور نشر مرموقة.

وتشتمل أبرز الفعاليات المرتقبة على ندوة حوارية بعنوان "أدب الطفل اليوم-أصوات من العالم العربي والألماني" التي تنظم بالتعاون مع مؤسسة "ليتبروم" الثقافية الألمانية

> جائزة الشيخ زايد تسعى إلى ترجمة الكتب الفائزة بهدف التعريف بالإبداعات الأدبية العربية وإيصال صوت الكاتب العربي

حيث تستضيف الندوة الكاتب الكويتي حسين المطوع الفائز بجائزة الشيخ زايد للكتاب لعام 2019 عن فئة أدب الأطفال والناشئة، والدكتورة كريستيان رابيه، مديرة المكتبة الدولية للأطفال والناشئة في ميونيخ، وستيفان تروديفايند، ناشر في "أديشن أورينت" في برلين، ويدير الندوة شتيفان فايدنر، وهو مستعرب ومترجم ألماني.

وتنظم الجائزة أيضا اجتماعا يضم أهم الناشرين الدوليين من الصين وألمانيا وفرنسا وروسيا، وذلك لبحث سبل التعاون مع دور النشر العالمية من خلال مبادرة الترجمة التي تقدمها الجائزة، لترجمة العناوين الفائزة بالجائزة في فروع أدب الطفل والآداب بهدف التعريف بالإبداعات الأدبية العربية وإيصال صوت الكاتب العربي للعالم.

وتستعد الجائزة في يوم 18 أكتوبر الجاري لإطلاق ترجمات إنكليزية وفرنسية وألمانية وأوكرانية للكتب الفائزة في فروع أدب الطفل والآداب بحضور ممثلين عن دور النشر التي أصدرتها.